للدفاع. وخلال هذه الفترة الطويلة لجأ شارون، دائماً وأبداً، إلى اتباع اسلوب الاندفاع السريع والصاعق بقواته في عمق الأراضي العربية، محاولاً الوصول إلى أبعد مسافة ممكنة في اقصى وقت ممكن، ومن ثم الالتفاف على القوات التي تواجهه. كذلك يلاحظ ان شارون تجاوز، في أكثر من حالة، الصلاحيات التي اعطيت له، وحاد عن سير المعركة الذي خطط اساساً، كما حدث خلال غزوة سيناء سنة ١٩٥٦، وخلال حرب تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٧٣. وكانت نتيجة هذا التكتيك، في أكثر من حالة، تفكك القوة العربية المواجهة له ثم انهيارها فالقضاء عليها؛ وان أدّى ذلك أيضاً، في حالات نادرة محدودة، إلى استبسال القوات المحاصرة ودفعها إلى القتال بشراسة، مما اوقع في قوات شارون خسائر كبيرة، أو أجبره على تغيير مخططه.

وما فعله شارون في الماضي، في حروبه مع العرب، حاول تكراره هذه المرة أيضاً. الا ان النتائج اختلفت. فما كان يحدث في الماضي من انهيار في القوات العربية لم يحدث هذه المرة بالذات في المواجهة مع القوات المشتركة، لسبب بسيط هوكونها قوات غير نظامية، تعمل وفق أساليب وقواعد حرب الشعب، التي لم يواجهها الجيش الاسرائيلي في الماضي. وهنا كان خطأ شارون. فبعد ان انقشع الغبار الذي اثارته الدبابات والآليات الاسرائيلية المختلفة في زحفها السريع، واستقرت نسبياً خريطة المواجهة، اتضح ان القوات الصهيونية انتشرت في اماكن واسعة، دون ان تتمكن من السيطرة التامة عليها، حيث «فرشت» نفسها على الطرق الرئيسية وبعض المواقع الاستراتيجية، دون ان تخاطر في الانتشار والسيطرة على الطرق الفرعية أو المناطق الخالية من السكان، معرضة بذلك نفسها لحرب عصابات مستمرة لا تستطيع تحملها طويلاً. أما المواقع الفدائية المتحركة التي حاولت القوات الاسرائيلية اجتياحها فسرعان ما بدلت أماكنها وراحت تتعامل مع العدو بالوسائل الملائمة. فبعض الوحدات الفدائية «اختفت» مع اقتراب الغزو من مناطق تواجدها، ثم ظهرت مجدداً، باعتراف العدو نفسه، لتعمل خلف صفوفه؛ بينما انسحبت غيرها إلى أماكن أخرى، تستطيع ان تعمل بحرية أكبر انطلاقاً منها. أما القوات التي بقيت في أماكنها، فقد خاضت قتالاً مشرفاً مع قوات العدو، واوقعت في صفوفه، مرة أخرى باعتراف أجهزة الاعلام الصهيونية نفسها، اصابات لا تقل عدداً عن تلك التي تكبدتها. وعموماً، بقيت القوات المشتركة متماسكة وصلبة وقادرة على العمل، ان كانت تلك التي تعرضت للحصار في بيروت الغربية وضواحيها، أو التي بقيت تعمل في المناطق الاخرى.

ولا شك ان هذه المحصلة، من ناحية المواجهة العسكرية ــ البشرية، هي أكبر دليل على فشل الغزو الاسرائيلي في تحقيق أحد أهدافه الرئيسية، ان لم يكن الهدف الرئيسي نفسه. فالسعي إلى تدمير «البنية التحتية» لمنظمة التحرير الفلسطينية يقضي، أولاً وقبل كل شيء آخر، القضاء على قوتها العسكرية، مهما كانت محدودة. وهذا بالضبط ما فشل العدو الصهيوني في تحقيقه، بدلالة انه راح يطالب، من ضمن شروطه لفك الحصار عن بيروت، بنزع سلاح المقاومة سلماً، بعد ان فشل في ذلك عنوة. ولعل العبرة الرئيسية من حرب حزيران (يونيو) ١٩٨٢ تكمن في هذه الناحية بالذات، وخلاصتها ان توفر ارادة القتال، مرفقاً بالتخطيط الصحيح والتعامل الملائم مع العدو، كفيل بالتصدي للجيش الصهيوني، الذي أرهب أكثر من حاكم عربي؛ والمثابرة على هذا النهج كفيلة بدحره مستقبلاً.

غير انه قبل الحديث عن المستقبل، ينبغي معالجة الوضع الراهن وتشعباته. فحالياً تنتشر قوات الغزو الصهيوني في اماكن واسعة من لبنان، وتحاول استغلال هذا الانتشار لتحقيق